صندوق البريد

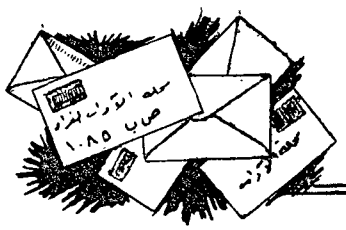

نعيمه و « معجم » العلايلي

تلقى الاستاذ عبد الله العلايلي من الاستاذ ميخائيل نعيمه الرسالة التالية حول « المعجم » الذي صدر اخيراً الجزء الاول منه .

اخي الشيخ عبد الله العلايلي

احييك اطيب التحية وأرجو ان تكون في خير حال . وبعد فما ادري بأي الالفاظ ارحب بموسوعتك اللغوية ، العلمية ، الفنية التي اسميتها « المعجم » واتحفتنا اخيراً بالجزء الاول منها . قالوا : لكل زمان رجال . وهو قول صحيح اذا فهمنا بالزمان حاجاته ومشكلاته . وحاجة العربية الى من يلين مفاصلها لمسايرة الزمان اصبحت حاجة صارخة منذ ان زحمتنا المدنية الحديثة بسرعتها الخاطفة . فجئت تسد تلك الحاجة — وتسدها وحدك . فكنت بالحقيقة جباراً . ويا ليت لنا تحت كل عمامة — او قلنسوة — بعض ما تحت عمامتك .

قرأت مقدمتك الممتازة فوجدتني كمن يقرأ ما تستر عنه في اعماق ضميره . وقد اعجبتني على الاخص منها نقطة انطلاقك حيث تقول : « وخير العربية اليوم انما يرجى من ذلك المنحى الذي يبتدىء البحث اللغوي من جديد ، ويأخذ اعتبارات المدرسة القديمة على انها اعتبارات فقط ، لا على انها اللغة او قانون عملها الثابت . »

لقد طالما قدسنا اللغة فوق تقديسنا للانسان الذي خلقها اداة للتعبير عن بواطن حياته وظواهرها . فعبدنا المخلوق دون الخالق . وآن لنا ان نعود عن ضلالنا فنجعل المخلوق خادماً مطيعاً وامينا للخالق . وها انت في موسوعتك الجديدة تحاول ان تقضي على ذلك الضلال بجعلك اللغة اكثر طواعية للمتكلم والكاتب ، وذلك بتفهمك العميق لمصادر اللغة وما فيها من قابلية للتطور ومن مرونة كاد جهل الجاهلين يجعلها صلبة حتى التحجر .

وانا كواحد من رجال القلم الذين يهمهم من اللغة ثروتها الكلامية ومقدرتها على ابراز المعاني بشتى الوانها اكثر مما يهمهم درس مصادرها والنواميس التي سيرت تطورها ، تراني أسر بقاموس يسهل علي التفتيش عن تلك المعاني والالوان شريطة ان اكون واثقاً من صدقه . ويلوح لي اني واجد في « المعجم » ذلك القاموس . على انني اريده سهل التناول وخلواً من اي هفوات مطبعية . وها أنت تعترف في آخر الجزء الاول من موسوعتك بوقوع اخطاء فيها فتقول : (وقعت جملة من الاخطاء لا تخفى على المطالع المعنن ... على اننا سنفرد بسائرها ثبتاً مستقلاً بعد انجاز الكتاب .) وما نفعي من ذلك (الثبت المستقل) في آخر الكتاب ما دمت ، وأنا اطالع الكلمة في صلب الكتاب ، لا استطيع القطع بانها صواب او خطأ ؟ لذلك كان من الضرورة التي لا ترحم ، مهما كلف الامر من جهد ، ان يصدر (المعجم) نقياً من الاخطاء المطبعية .

ثم اني وجدت صعوبة اخرى في كثرة المصطلحات . فهي تبلغ في الكتاب السبعة والستين عداً . وهذه ليس باليسير حفظها حتى بتكرار الاستعمال . ومن الممل الرجوع اليها عند كل كلمة مسبوقة بواحد منها . أفلا سبيل الى اختصارها ؟

اعود فاقول انك اتيت عملاً جباراً يا اخي — وعملاً نحن في امس الحاجة اليه . وأتيته وحدك . فالمجد لك . وبارك الله فيك . ولعلك ستعوض ان شاء الله عن السنوات العشرين التي سلختها من عمرك في انجاز عملك الفريد اعماراً واعماراً تحياها في قلوب الاجيال التي ستنتفع بعلمك .

المخلص : ميخائيل نعيمه

حول نقد « الحي اللاتيني »

يقوم نقدنا الأدبي المعاصر على محاولات تنبني على التعسف والقسر ، وهذه الظاهرة تستطيع ان تلمحها في ادبنا الحائر الذي يتردد ابداً بين اتجاه وآخر لايكاد يعرف له فهماً ثابتاً ولا نمواً مطرداً ، كما تستطيع ان تلمحها في نقدنا المتشعب الذي لا اتفاق مبدئياً على اسسه ودعاماته ، ولا تواضع معترفاً به على بداياته ونهاياته ...

ان مشكلتنا في النقد انما تبدأ من اختفاء المنهج الصحيح الذي يقوم على اساسه العمل الأدبي . وتستمر هذه المشكلة ما استمر مفهومنا للأدب نفسه ، قائماً على عدة افتراضات فردية تعسفية لا رابط بينها ولا قربى ...

ولعل عملاً ادبياً لم يظهر هذه المتاهات التي نجول فيها ونضرب في انحائها خبط عشواء كما فعل (الحي اللاتيني) ، فقد كشف هذا العمل كشفاً واضحاً ما نتمتع به في عالمنا النقدي من اضطراب وقلق وغموض في المفاهيم واعتساف في القول ...

فهذا عمل نقدي يتناول القصة تناولاً سيكولوجياً وكأن الادب عمل مهمته الاولى ان يكون تفسيراً للسلوك على احدث النظريات السيكولوجية ، وكأنما الفنان ملزم ان يقدم للمحاثة السيكولوجي مادة تنطبق على كل ما حفظه من اسس ونظريات ...

وثمة عمل نقدي آخر يتناول القصة تناولاً اخلاقياً يبحث في ثناياه عن مثل عليا في الاخلاق والدين والشرف ، ويؤاخذ القصاص لأن بطل قصته إنسان عادي يعيش في دوامة تتقاذفه بين حناياها ، ولأن هذا البطل مركز لصراع يتعرض له بحكم كونه انساناً وبحكم كونه شرقياً ثم بحكم كونه ابناً لدولة تعيش في فترة انتقال حرجة ... بل يذهب به الأمر الى ان يؤاخذ القصاص الذي دفعه الى تسميته بالبطل فهو في نظره الاخلاقي لا يستحق هذه التسمية ... ويثير اسئلة ساذجة عن دعاوى اخلاقية تتعلق بالمرأة والشرف و..الخ..

وبقدر ما اثارت هذه المحاولات النقدية في نفسي من حيرة وقلق أذهلني تعليق الاستاذ رجاء النقاش على نقد الاستاذ احمد كمال زكي الذي سار الى حد كبير على اسس هي اقرب الاسس الى النقد الفني كما نفهمه ؛ فقد تتبع الاستاذ زكي تطور العمل الفني في القصة تتبعاً واعياً ، وسار باحثاً عن خيوط العمل الفني متتبعاً تطورها ونماءها وتكاملها ، محاولاً ان يضع يده على الحركة الداخلية في القصة .. وسواء نجح الاستاذ زكي في هذا او قصر فقد قدم محاولة طيبة لتتبع النماء الداخلي للعمل الفني وتقدم لها بتفسير نقدي لخصه في قوله .

« ولكني أؤمن بان (الحي اللاتيني) تتحرك كلها من اولها الى آخرها في ظل هذه العقدة ، وأسميها عقدة لأنها فعلاً كذلك ، بل ازعم انها عقدة اوديب نفسها » .

ولكن الاستاذ رجاء النقاش لا تعجبه هذه المحاولة بل يقول ان « مقال الاستاذ زكي قد بني على افتراضات عامية لم يناقشها الكاتب ليعرف نصيبها من الخطأ والصواب كافتراضه ان عقدة

اوديب هي الحالة التي يعيش فيهـا بطل القصة » ويمضي بعد هذا في حديث طويل عـن فرويد وأدلر وعن المحاولات العلمية وآخر نظريات علم النفس .. وكنت احسب انه يريد ان يمضي مفنداً بطريقته العلميةهذا الافتراض الذي اقامهالاستاذ زكي ، ولكنه لم يتعب نفسه واكتفى بان قـال « على اني ارفض هذا التفسير لعلاقة البطل بأمه فالمسألة فيرأيي تفسرها طبقةبطل القصة».. وهكذا نقلنا من الحديث حول عقدة اوديب الى الحديث عن البورجوازية وأحسب انه غفل في حديثه عن آخر تطورات علم الاقتصاد وآخر نظرياته، وإلا لرفض ايضاً هذا التفسير الاقتصـادي وتقدم بفرض جديد ..

ومسألة (على اني ارفض هـذا التفسير) مسألة شائعة في حياتنا النقدية ما دام يختفي المنهج النقدي السليم وما دمنا نتخبط بـين النظريات والافتراضـات ، وإلا فهل المسألة من البساطة بهذا القدر ؟

ان العمل الفني الذي هو كل دينامي تتألف وحداته من وثبات تؤلف الوحدات الوجدانية في البنـاء المتكامل يحتاج الى دقة كاملة وتمثل واع لتطور هذه الوثبات وتكاملها ، والبحث في العمل الفني لا يسير عـلى افتراض نظرية مكان نظرية والتقدم يتفسير محل تفسير اخر، فعقدة اوديب خطأ و (البورجوازية) صواب ، وجانين ليست (اللاشيء امام اي شيء) وانما هي فناة (انتصرت على عقدها)..المسألة ليست مباراة في الافتراضات وانما هي محاولة للكشف عن التجربة الوجدانية التي عاش فيها الكاتب إبان عمله الفني،والناقد يحاول ان يفهم شخصيات القصة لا ليظهر مقدرته وعلمه بآخر تطورات علم النفس ونظريات الاقتصاد ، وانما لأن كل شخصية تكون مع غيرها اسس العمل الفني ، فلا بد من الفهم العام المتكامل للقصة اول الامر ثم لا بد —حين نحاول التحليل— ان نتتبع شخصيات القصة على ضوء من فهمنا الكامل للقصة ككل ..

وهذا التفسير الذي قدمه الاستاذ زكي لم يفترض افتراضاً وانما سار بنا خطوة خطوة ، يرينا مـا يعيش فيه (هو) من صراع داخلي بين مجاهيل لا تبين إلا حينما نرى فهمه للحياة وفهمه لموقفه مـن المرأة وخوفه المرير من العلاقة بين الرجـل والمرأة ، ونرى الى جوار هذا سيطرة امه على مشاعره وحبه ، فتبريز الخادمة تحتل قدراً كبيراً من تفكيره لأنها تعمل في هدوء كأمه ولأنهـا تشقى من اجل اولادها كأمه ، ولأنهـا تحبه وتعطف عليه كامه « بل هو ينزل امامها فيمد لها يده مستعطياً .. تماماً كما يمد يده الى امه ، ويتمنى لو استطاع ان يطوقها بيديه ويقبلها ويغرق جيدها بدموعه » .. وتظل المرأة في نظره حنانـاً فحسب ، ويظل يخاف جسد المرأة خوفاً مبهماً الى ان يلقى جانين ، وينسى امـه وينسى خوفه من الجسد ، وينسى اشفاقه من المرأة ، الى ان يعود ويلتقي في بلده بأمه وجهاً لوجه... وتجتمع في نفسه عوامل الحب والبغض .. عوامل العاطفة القوية والحب الكامن ، مع خوفه على مستقبله واحساسه بقوة شخصيتها وتسلطها .. وتنتصر امه وتسلبه حبيبته ورجولته وعزته .. وعندئذ يثور ويستيقظ ، ويقول الاستاذ زكي (بل هكذا تنحل عقدة اوديب فيعود الى باريس انساناً آخر يعرف ما يريد) .

فالأستاذ زكي اذن لم يفـترض فرضاً علمياً لم يناقشه ، بل لعله لم ينظر الى المسألة هذه النظرة العلمية المدرسية ، اذ هو سار متتبعاً الحركة الداخلية واضعاً يده على نماء التجربة وتكاملها الى ان رآها قدوصلت ذروتها فوضع يده فوقها ليجد حباً وكراهية للأم . وليجد صراعاً بين البغضاء والحنان ، وحين عاد متتبعاً القصة من اولها وجد فرضه صحيحاً، اذ تسير القصة نحو اكمال هـذا الحب وتكـوين هذه البغضاء ... فقال هذه « عقدة اوديب » .

وشيء اخر احب ان انبه اليه الاستاذ النقاش، وهو ان هناك اصطلاحات دخلت عالمنا الاديبي من خارجه فوجدت لها مكاناً بين الاصطلاحات النقدية والادبية دون ان ينقطع ما بينها وبين اصلهـا من رباط ولكنها اخذت مكاناً في القاموس النقدي واصبحت شيئاً ملكاً للعالم الفني بمفهومات جديدة متطورة ... ومن هذه الاصطلاحات « عقدة اوديب » فقد اصبحت اصطلاحاً نقدياً نطلقه كلما رأينا صراعاً بين الحب والبغضاء تجاه احد الوالدين (الأم) في عمل فني ...

وعلى اي فأحسب ان الاستاذ النقاش لم يكن لديه الوقت الكافي وهو ينقد عدد الآداب كله لكي يتروى قليلاً قبل ان يتكلم عن هذا النقد ، واحسب ايضاً ان مسألته « على اني ارفـض هذا التفسير » تسير دائماً في ركابه وتلمحها في نقده للعدد كله ... فهل هذا مذهبه النقدي بل هل هذا مذهب نقدي جديد يريدنا ان نتبعه ونتجهه؟

فاروق خورشيد

عضو الجمعية الادبية المصرية

من قيم الشعر العراقي الحديث

يحفل العراق اليوم « بكميـة » ضخمة من الشعراء ، يقرضون الشعر على تفاوت في القدرة وتباين في الشهرة وذيوع الصيت . ومعظم هؤلاء الشعراء ممن نشأوا نشأتهم الذهنية الاولى خلال الحرب المسكونية الثانية ، اما القلة اليسيرة الباقية ، فهم من الجيل المنحسر البائد ، وقد نطق الزمن فيهم حكمه ، ولا لوم عليه ولا تثريب .

واذن ، فهؤلاء الشعراء الذين تلقاهم وقـد نثروا « حبـات قلوبهم ! » في كل صحيفة من الصحف الناطقة — اي المطبوعة ! — بلغة الضاد، هم من الشباب الثائر على القديم البالي ، الواثب الى الآفاق في طرفة عين . ومن هنا نشأ الاندفاع المنفعل لتجديد كل شيء بمعيار واسع النطاق ... حـكم المعول في ايوان كسرى ، وشيد على انقاضه « فللا » من الطراز الحديث ، فلست بخاسر يومئذ غير عفونة القدم البغيض !... ومن هنا «ايضاً» نشأت ازمة لا مندوحة عن اجتيازها لتحقيق رسالة الشعر العراقي الحديث على يد بضعة من شعراء الشباب وقفت بوجه جائحة مؤلمة من التزييف والتبخيف ، وقد ازرت هذه الجائحة بكل معيـار ، واوشكت ان تعصف بالعرق الانساني النابض بالشعر والحياة ، حيث تمثلت هذه الجائحة الفكرية بزمرة من ادعياء التجديد في الادب ، حصلت على بعض النفوذ الادبي والفكري وكادت « تسمم ماء الينبوع » ، ولكن آن لها

صدر اليـــوم

الثمن ١٠٠ ق.ل.

ان تنسحب الآن ، وتترك هذه الاندفاقات الحية ان تشق طريقها، وتكسح من امامها الاوشاب.

وهنا مرة اخرى تصوغ هذه الازمة التي يجتازها الضمير الادبي في العراق سؤالاً ضخماً يشكل متاهة تتعانق فيها المسالك والدروب ... « اين الاصالة من التشويه والتزييف » ... ولا ريب ان الجواب يستدعي دراسة مستفيضة، ووقوفاً عند وجهات النظر المختلفة . على ان التحليل السيكلوجي ، مثلاً ، لأي قصيدة شعرية يرينا ان هناك بضعة الفاظ معينة هي التي تنبجس عنها القصيدة وتخرج منها الى حيز الامكان . فقصيدة الشاعر الانكليزي « تيشبورن » من القرن السابع عشر والتي نظمها ليلة مقتله في احد ابراج لندن ، نقتطف منها ما يلي :

«الا ان فجر شبيبتي لم يكن غير صقيع من الآلام،
ووليمة ابتهاجي، غير قصعة من الأحزان ،
وغلال حنطتي ، غير حقل من الزؤان ،
وكل محصولي ، غير امل باطل في النوال ؛
لقد مضى النهار ، ولم اشهد الشمس ،
واعيش الآن ، وقد اكتملت شبيبتي ... »

اذا تأملنا هذه القصيدة وجدنا ان هناك بضعة ألفاظ هي (الالفاظ المفاتيح) -كما يدعونها- ومن إشعاع هذه الالفاظ شيدت القصيدة باكملها. ولعل هذه الالفاظ — (الالفاظ المفاتيح) — كانت : شباب ، الام ، افراح ، حقول، امال، نهار ، شمس ، حياة ... وهذه الالفاظ هي التي بقيت ترن في اذني الشاعر ، وهو ينتظر الموت حبيساً في احد الابراج ، حتى صاغ منها تلك القصيدة الفذة في تاريخ الادب الانكليزي. فالشعر يبدأ رنيناً من الالفاظ المتناثرة ، وينتهي بابداع في متواشج البنيان .

فمن هذه الدراسة السيكلوجية لبناء القصيدة نستطيع ان نميز (الاصالة) من (التشويه والتزييف)، اذ سنرى بشيء من الفطنة والذائقة الفنية، ان هذه (الالفاظ المفاتيح) تظل تطن في رأس الشاعر المزيف من غير ما طائل ، ثم تخرج منها كما دخلت اليها الفاظاً مشردة لا تماسك بينها من اشعاع . وتلك غاية النفي والتشريد للالفاظ !

هذا وان الشعر —من حيث الشكل— يعتمد على الايقاع الذي تتضمنه البحور والاوزان . وتنشأ الاستجابة للشعر من هذا الانفعال الانساني المشترك الذي اطلقوا عليه انفعال « التوقع » Expectancy (١) وهو نشاط انساني غير واع ولا محدود المعالم والصفات . فتكرار الالفاظ والمقاطع ضمن هذا الاطار الايقاعي، يهيء الذهن لضرب من ضروب (التوقع) . ولا يعنون بهذا (التوقع) — كقدامى العرب — انك تستطيع ان تتنبأ باللفظة التالية او المقطع التالي ، بل على العكس من ذلك تجد — احياناً — ان الدهشة التي تلاحقك اثناء قراءة قصيدة من القصائد هي نفسها ناشئة عن فعالية هذا (التوقع)... (توقع) و (دهشة) تلك هي ميزة الشعر القويم .

ويعتمد النقد اليوم على هذه النظرية الحديثة، في ادراك الشعر وتذوقه ، فحيثما فشل الشعر في استثارة هذا النشاط الانساني العجيب في كيانك ، فصدمتك لفظة او ايقاع لم (تتوقعه) ثم لم يثر (دهشتك) فاقطع بان الشعر قد فشل ، وكن من ذلك على يقين .

ومثال ذلك بيت كثير عزة حيث يقول :

تولیت محروماً وقلت لصاحبي
أقاتلتي ليلى بغير قتيل ؟

فالشطر الثاني من البيت ، فشل ذريع لأن الشطر الاول يستثير في نفسك فعالية (التوقع) ثم يهبط بك اليأس ، في الشطر الثاني ، الى اقصى مداه . وهنا يحل « اليأس » Despair محل « الدهشة » Surprise ، وهي ميزة الشعر الرديء .

اما وصف ابن الرومي لطغيان نهر دجلة حيث يقول :

لدجلة خب ليس لليم مثله
تراءى بحلم تحته جهل واثب
تطامن حتى تطمئن نفوسنا
وتغضب من مزح الرياح اللواعب

فهو مثال رائع من امثلة الشعر السامي لأنه يستثير في نفسك هذا « التوقع » العنيف ،

(١) سنعرض في بحوث اخرى قيماً اخرى في الشعر العراقي الحديث .

ولكنك تخيب المرة بعد المرة في ما يمكن ان يقال دون ان يصيبك (اليأس) الذي اصابك في بيت كثير السالف الذكر . هذا وان قصيدة (الملجأ العشرون) مثلاً لعبد الوهاب البياتي تعتبر فشلاً ذريعاً ايضاً لأنها تبعث فيك (التوقع) و (اليأس) من اولها الى منتهاها ، وهذه الحالة النفسية نعبر عنها باللغة المألوفة فنقول مثلاً : ان هذه القصيدة لم تملأ نفسي ... او لم تهز كياني.. اي لم تثر فيّ هذا النشاط الآسر العجيب، مبدع الفنون على ان قصيدة لكاظم جواد كـ (لعنة بغداد) تستطيع ان تثير في نفسك هذه الفعالية بشكل —أكاد اقول - مبالغ فيه ، لداخل الصور المتناطرة وازدحامها من اولها الى منتهاها .

هاتان الملاحظتان عن التحليل السيكلوجي للشعر وعن نظرية (التوقع) هما رائد النقد الحديث اليوم ، وقد كتب فيها جبابرة النقد والفنون من امثال (ستيفن سبندر) و (إ. رتشاردز) و (إ. هيوم) وغيرهم كثيرون . وقد آن لأبناء الدفقات الحية في الادب العراقي الحديث ان يجيبوا بها عن هذا التساؤل الضخم الذي تلقيه عليهم ازمة الضمير الادبي ، بشأن (الاصالة) و (التشويه والتزييف) .

بغداد — محي الدين اسماعيل

الدكتور جورج حنا

يعالج باسلوبه الثائر الجريء موضوع الساعة — مؤتمر الاديان المعقود في بحمدون — وذلك في الجزء الثالث من سلسلة « الخارثيات »:

هرطقات فريسية !

الثمن ليرة لبنانية

صدر اليوم — دار العلم للملايين